4. ما هو مفهوم الخير فى فلسفة رسل الحدسية؟ وهل جاء تصوره للخيرية الأخلاقية متفقًا مع تصور «مـور» فى خيريته أو «ايونج(*)» فى ينبغيته عن فلسفة الواجب؟

ثانيا: تهافت المثالية

هل كان رسـل فيلسـوفًا مثاليًا؟ و إذا كان كذلك فمتى بدأت المثالية عنده؟ وكيف بدأت الثورة عليها؟ و إلى أى حد وبأى معنى كان فيلسوفًا مثاليًا؟؟

هذه تسـاؤلات تستحق دراسات منفصلة فى ذاتها، ولكنها يمكن أن تثار هنا داخل السياق العام لهذا البحث، ومن ثم تكون الإجابات التى ستقدم محدودة العمق والنطاق واليقين.

فى البدء يقرر رسل حقيقة مهمة وهى أن الفلسفة الأكاديمية خلال القرن العشرين، قد انقسمت إلى ثلاثِ فرقٍ أساسية، الأولى: أتباع الفلسفة الألمانية الكلاسيكية، متمثلة فى فلسفة كانط وأحيانًا هيجل، والثانية: تتكون من البرجماتيين، والثالثة: كانت ممن يتصلون بالعلم على اعتقاد أن الفلسفة لا تقتصر على لون بعينه من ألوان الحقيقة، ولا بطريقة خاصة للوصول إليها[1].

(*) هو الفيلسوف الإنجليزى «الفريد سيريل ايونج» «Alfred Cyril Ewing» 1899 - 1973 ينتمى إلى الفلاسفة الواقعيين، هؤلاء الذين ثاروا فى مفتتح القرن العشرين على المذهب المثالى الهيجلي فى صورته التى قدمها «برادلى» و«ماكتجارت» و«جرين» وغيرهم من الفلاسفة المثاليين فى ذلك الوقت، والذين اتخذوا من جامعة أوكسفورد معقلاً لهم. وقد ساهم «ايونج» فى هذه الحركة «الواقعية» بكثير من المؤلفات بين كتب ومقالات، منها كتابه الضخم عن «المثالية» وهو الكتاب الذى وصفه فى عنوان فرعى بأنه «مسح نقدى للمثالية»، وله فى هذا الصدد، أيضًا، كتابان ومقال، وجميعهم فى نقد فلسفة « كانط »، وأول الكتابين هو « نقد تصور كانط للعلية» 1924، والثانى « تعليق مختصر على كتاب كانط نقد العقل الخالص»1938، وقد أكد فى الكتابين على ضرورة وجود «نظرية واقعية فى المعرفة»، أما المقال فقد كرسه لبيان «التناقضات الموجودة فى نظرية كانط الأخلاقية» 1938.

ويعد ايونج صاحب نظرية حدسية intuitionism فى الأخلاق وذلك إذا وضعنا نظريته فى مواجهة النظريات «الوضعية» الخالصة أو ما يطلق عليه النظريات الطبيعية naturalism وهى تلك النظريات التى تحاول تعريف التصورات الأخلاقية الأساسية فى حدود تصورات علوم أخرى غير علم الأخلاق، كأن نعرف «الخير» بتصورات مستمدة من علم النفس أو علم الاجتماع أو الأحياء.

انظر- محمد مدين: الفريد ايونج، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص11 - 14.

(1) برتراند رسل: فلسفة القرن العشرين، مقال منشور فى كتاب- فلسفة القرن العشرين، تحرير: راجوبرت د. رونز، ترجمة: عثمان نويه، مراجعة: زكى نجيب محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963م، ص10.

من خلال الانقسامات الفلسفية الثلاثة السالفة الذكر، يبدأ رسل بسرد تطوره الفلسفى، سواءً فيما كتبه عن نفسه، أو فيما جاء من كتابات لصديقة جورج إدوارد مور، حيث أخبرنا مور بأنه كان مع رسل مثاليًا، وذلك خلال أيامه الأولى فى كيمبردج، وأنه بدأ الخروج على المثالية فى مقالته «طبيعة الحكم»[1]، وقد سايره رسل فى ذلك. على الرغم من كون جورج مور كما يقول عنه رسل، «أنه أصغر منى بأعوام قلائل، ولكن كان له فيما بعد أكبر الأثر فى توجيه فلسفتى»[2]. فقد تأثر رسل بصديقه «مور» فى كيمبردج تأثرًا كبيرا، وذلك فى الاعتقاد بموضوعية المعرفة الأخلاقية التى نادى بها «مور»[3].

عندما كان رسلُ ومورُ طالبين فى كيمبردج، كانت المثالية فى صورتها الهيجلية الجديدة هى السائدة[4]. فيروى رسل عن نفسه فى كيمبردج أنه: «كانت مجموعة الأصدقاء الذين صحبتهم شديدة التأثر بـ«ماكتجارت[*]» Mctaggart الذى حملنا بفطنته على دراسة الفلسفة الهيجلية، وقد علمنى كيف أنظر إلى الفلسفة التجريبية الإنجليزية نظرة ترى فيها فجاجة

(1) محمد مدين: جورج إدوارد مور، مرجع سابق، ص35.

(2) Bertrand Russell: My Mental Development, op.cit, p.10.

(3) Robert John Donald Jackson: The Political Ideas of Bertrand Russell, submitted for the Degree of Master of Arts, the University of Western Ontario, London, Canada, 1962,p.5.

(4) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2004م، ص148.

(*) هو الفيلسوف المثالى «جون إليس ماكتجارت» (1886-1925) كان زميلاً بكلية ترينتى فى جامعة كيمبردج، بالإضافة إلى كونه تلميذًا لهيجل ومن المعجبين به. ولقد برز ماكتجارت كفيلسوف جرىء فى الفكر والأصالة، ومدافعًا عنيدًا عن المثالية عامة، ومن أهم آرائه، اعتقاده بخلود الروح اعتقادًا لا يتنافى مع إنكار وجود الله، وهو رأى غير مألوف. كما هذب ماكتجارت شكلاً من أشكال المثالية ليس فيه عقل إلهى أو مطلق، و إنما تتألف الحقيقة من عدد من الأرواح التى تتحد فى انسجام فوق مستوى الحس، بحيث تكون روح كل كائن إنسانى واحدة من هذه الأرواح، وهو يزعم أنه يستطيع أن يثبت أنه لا وجود فى الحقيقة لغير أرواح يحب بعضها بعضًا، وأننا خالدون، وفى نهاية الأمر، سوف لا نخبر الأشياء فى الزمان، وسنصل إلى إدراك طبيعتنا اللازمانية، وفى هذا الإدراك متعة تفوق أية متعة يمكن أن نتصورها، أى أننا سنصل إلى متعة روحية تتجاوز الزمان والمكان والمحسوسات.
انظر - خلف الجراد: معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، 2007م، ص227.
وانظر أيضًا - الموسوعة الفلسفية المختصرة: ص 407.

وسذاجة، وكنت أميل إلى العقيدة بأن هيجل وكانط يتصفون بعمق فى التفكير هيهات أن تجد له مثيلاً عند أئمة الفلسفة الإنجليزية متمثلة فى لوك، وباركلى، وهيوم، بل هيهات أن تجد له مثيلاً عند الرجل الذى كنت قد اتخذته لنفسى قبل ذلك إمامًا روحيًا، وأقصد به «مل»، فقد كنت فى الأعوام الثلاثة الأولى من حياتى فى كيمبردج أكثر شغلاً بالرياضة من أن أجد فراغًا أقرأ فيه كانط أو هيجل، أما فى السنة الرابعة فقد اتجهت بكل اهتمامى إلى الفلسفة، وكان أساتذتى فيها هم «هنرى سيدجويك(*)» Henry sidgwick، و«جيمس وورد(**)» James Ward، و«ستوت(***)» G.F. Stout، وكان «سيدجويك» من بين هؤلاء الفلاسفة الذى يمثل وجهة النظر البريطانية فى الفلسفة، وهى وجهة نظر أظننى قد ألممت بها وجمعت أطرافها، ولذلك لم يكن له عندى من التقدير بادىء بدء مثل ما كان له عندى آخر الأمر»(4).

(*) هو الفيلسوف الإنجليزى «هنرى سيدجويك» (1828 - 1900) أستاذ كرسى نايتبردج للفلسفة الأخلاقية بجامعة كيمبردج منذ عام 1883م حتى وفاته، كان طوال حياته الرشيدة يمثل رجل كيمبردج، وكان نتاجًا يحمل طابع تلك الجامعة بأكمل معانيه، كتب فى الإقتصاد، كما كتب فى الفلسفة، وكان عضوًا مؤسسًا لجمعية البحث فى الروحانيات، كما كان أول رئيس لها. ومن أهم كتبه «مناهج علم الأخلاق» الذى نشر عام 1874م، وفيه اتخذ «سيدجويك» موقف مذهب اللذة فى المنفعة، ولكن بعد أن تعرف على جوانب المشكلات الأخلاقية المتعددة تعرفًا أكثر وضوحًا، وبعد أن عالج المشكلات التى أثيرت معالجة أكثر إحترافًا عما هو شائع.
انظر - الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص255.

(**) هو الفيلسوف الإنجليزى وعالم الرياضيات «جيمس وورد» (1843 - 1925) كانت اهتماماته واسعة النطاق تتراوح من علم الأحياء إلى ما بعد الطبيعة، وقد نشر آراءه فى سلسلة من المحاضرات، يتضح من خلالهما تأثره بكل من ليبنتز ولوتزه فى مذهب العقول المتعددة، وهو مذهب يفسح المجال بطريقة ما لمذهب المؤلهة ليوحد هذه الكثرة.
انظر - خلف الجراد: معجم الفلاسفة المختصر، مرجع سابق، ص ص 280 - 281.

(***) جورج فريدريك ستوت (1860 - 1944) أستاذ المنطق والميتافيزيقا بجامعة سانت أندروز الإنجليزية، درس الفلسفة وعلم النفس فى جامعة كيمبردج، كان رئيس تحرير مجلة العقل Mind من عام 1891حتى عام 1920م وهى مجلة رائدة فى العلوم الفلسفية، كما كان رئيس الجميعية الأرسطية من 1899 حتى 1904م، وكان من بين الطلاب البارزين فى كيمبردج فى هذه الفترة جورج إدوارد مور، وبرتراند رسل، ومن أهم مؤلفاته، علم النفس التحليلى عام 1886، ودليل لعلم النفس فى مجلدين (1899-1898)، ودراسات فى الفلسفة وعلم النفس عام 1930م، وتوفى «ستوت» فى عام 1944م.
Look - C.A. Mace: Stout, George Frederick, in, The Encyclopedia of Philosophy, vol.8, op. cit, pp.22,23.

(4) Bertrand Russell: My Metnal Development, in, The Basic Writing of Bertrand Russell, op.cit, p. 14.

أمـا «جيمس وورد» الذى أحببته حبًا شـديدًا فقد شرح لى الفلسـفة الكانتية شرحًا مهد الطريق أمامى لدراسة فلسفة «لوتزه(*)» Lotze، وأما «ستوت» فقد كان مهتماً بفلسفة «برادلى» Bradley، حتـى قال عن «برادلى» عندما أخرج كتاب «الظاهر والحقيقة» Appearance and Reality أنه قد عرض فى كتابه هذا فلسفة الوجود عرضاً لا يتسنى لأى إنسان على هذه البسيطة أن ينقده فيه، وأما «ستوت»، و«ماكتجارت» فهما اللذان جعلانى هيجلى النزعة»[1].

كما كان لـ«ستوت» أيضًا تأثيرًا مهما، حيث جعل رسل يقرأ فلسفة كل من كانط وهيجل وجـون لوك بعناية وحرص شـديد، وتحت تأثير «سـتوت» أصبح رسـل واحـدًا من المعجبين بفلسفة «برادلى» - فيلسوف أكسفورد العظيم- والتابع لفلسفة هيجل أيضًا[2].

من خلال ما سبق نستطيع القول بأن الأساتذة الذين قاموا بالتدريس فى كيمبردج فلاسفة مثاليـين، فـ«جيمس وورد» كان كانطيًـا، أما «ماكتجارت» فكان يقول عن «برادلى» أنه مثل فكـرة أفلاطونيـة تخطر فى الحجـرة، وقد كانت لديه- فيـما يقول- ردودٌ هيجلية على الفلسـفة التجريبية، وأن باستطاعته أن يبرهن بالمنطق الخالص على أن العالم «خير» وأن الروح خالدة. وأما الاسـتثناء الوحيد فقد كان «هنرى سـيدجويك» صاحب «مناهـج علم الأخلاق» وهو الفيلسوف الذى أعلن عنه «مور» أنه لم يتعلم منه بما فيه الكفاية[3]. فقد كان أحد اهتمامات «سـيدجويك» الأساسية فى كتابه السالف الذكر، هو محاولة عقد مصالحة بين مذهب المنفعة والنزعة الحدسية Intuitionism فى الأخلاق[4].

(*) هو رودلف لوتزه (1817 - 1881) فيلسوف ألمانى أقرب إلى المثالية، حاول فى فلسفته أن يوفق بين المادية والمثالية، وهو يعتمد فى فلسفته ومعارفه الطبيعية على أفكار ليبنتز، من أشهر كتبه «العالم الصغير»، وقد مهدت أفكار «لوتزه» الطريق نحو ظهور مذهب الظواهر «الفينومينولوجيا» عند هوسرل، وكذلك أثر كتابه «المنطق» فى آراء كارنيسكى.

- انظر - خلف الجراد: معجم الفلاسفة المختصر، مرجع سابق، ص 204.

(2) Ibid: p. 14.

(3) A.C. Grayling: Russell, A very short introduction, Oxford University Press, New York, 1996, pp.6,7.

(4) محمد مدين: الحركة التحليلية فى الفكر الفلسفى المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م، ص29.

(5) بيتر إدواردز: مستقبل الأخلاق، مقال منشور فى كتاب، مستقبل الفلسفة فى القرن الواحد والعشرين، تحرير، أوليفر ليمان، ترجمة/ مصطفى محمود محمد، مراجعة / رمضان بسطاويسى، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 301، 2004م، ص88.

يحاول «دونالد جيليز» فى كتابه «فلسفة العلم فى القرن العشرين» أن يحلل السطور السابقة فى تبيان التحولات الفلسفية التى طرأت على فكر الفيلسوف محل الدراسة، فيرى «جيليز» أن رسل فى بداية حياته الفكرية كان خاضعًا للمذهب الكانطى، وصدر كتابه الأول: «مقال فى أسس الهندسة» الذى نشر عام 1897م كمحاولة لتبرير الهندسة اللاإقليدية من وجهة نظر كانطية، وبعد انتهاء هذا العمل، صار رسل ولفترة قصيرة هيجلى النزعة، غير أنه سرعان ما تخلى عن ذلك تحت تأثير «جورج مور»، إذ عاد رسل بعد هذه التقلبات بين المفكرين الألمان إلى الفلسفة الإنجليزية التقليدية، وظل بقية حياته معتنقًا أنواعًا معينة من الفلسفة ذات طابع تجريبى، غير أنه لم يستقر على فلسفة بعينها، بل كانت تتغير أفكاره وفلسفته من وقت لآخر[1]. وهذا ما جعل فيلسوف كـ «برود» يقول عن رسل: «أن مستر رسل، كما نعرف جميعًا، ينتج مذهبًا جديدًا فى الفلسفة كل بضع سنوات»[2].

ولكن.. لماذا رفض رسل وصديقهُ مور النزعة المثالية عند الفلاسفة الألمان؟؟ وما المنهج الذى بنى عليه رسل فلسفته بعد أن ثار على الفلسفة المثالية؟؟

يقول رسل «لقد حدث لى خلال عام 1898م عدة أحداث جعلتنى أرفض فلسفة كل من «كانط»، و«هيجل» من ذلك أني قرأت كتاب هيجل «المنطق الأكبر» Greater Logic، وكان رأيي فيه هو أن كل ما قاله هيجل عن الرياضة كلامٌ فارغ خرج من رأس ناقصة Headed Nonsense، وكذلك حدث فى هذا العام ما جعلنى أقوم برفض براهين «برادلى» التى أراد بها أن ينفى الكثرة فى الأشياء، وذلك لنفيه العلاقات القائمة بينها، كما قمت برفض الأسس المنطقية للمذهب الواحدى، وكرهت النزعة الذاتية التى تنطوى عليها «الإستطيقا الترنسندنتالية» Transcendental Aesthetic فى فلسفة كانط، ولولا تأثير «جورج مور» فى تشكيل وجهة نظرى لفعلت هذه العوامل بخطوات هادئة، فقد اجتاز «جورج مور» فى حياته الفلسفية نفس المرحلة الهيجلية التى اجتزتها، لكنها كانت عنده أقصر زمنٍ منها عندى، فكان هو الإمام الرائد فى الثورة، وقد تبعته فى ثورته وفى نفسى شعورًا بالتحرر»[3].

(1) دونالد جيليز: فلسفة العلم فى القرن العشرين، مرجع سابق، ص89.

(2) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الثامن من بنتام إلى رسل، ترجمة: محمود سيد أحمد، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومى للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2009م، ص613.

(3) Bertrand Russell: My Mental Development, op.cit, pp.11,12.

يقول رسل «لقد قال «برادلى» عن كل شيء يؤمن به «الحس المشترك»Commen Sense عند الناس أنه ليس سوى «ظواهر» Appearance فجئنا نحن وعكسنا الوضع من جهة إلى جهة أخرى، إذ قلنا أن كل ما يفترضه «الحس المشترك» بأنه حقيقى فهو حقيقى، ما دام «الحس المشترك» فى إدراكه للشيء لم يتأثر بفلسفة أو لاهوت، وهكذا بدأنا - وفى أنفسنا شعور الهارب من السجن - نؤمن بصدق «الحس المشترك» فيما يدركه، فاستبحنا لأنفسنا أن نصف العشب بأنه أخضر، وأن نقول عن الشمس والنجوم أنها موجودة حتى لو لم يكن هناك العقل الذى يعى وجودها، ولكن على الرغم من ذلك أيضًا لم يمنعنا هذا من الاعتراف بوجود عالم من المثل الأفلاطونية فيه كثرة ولا يحده زمن، وهكذا تغير العالم أمام أعيننا، فبعد أن كان هزيلاً مقيدًا بقواعد المنطق، انقلب فجأة ذا خصوبة وتنوع ومتانة»[1].

من خلال ما سبق نستنتج أن «جورج مور» هو الرائد لرسل فى الخروج من بوتقة المثالية، وقد اعترف رسل بفضله عليه حيث قال: «أننى وجدت فى مور لعدة سنوات مثلى الأعلى عن العبقرية»[2]. وقد صرح سانتيانا بذلك أيضًا فى معرض حديثه عن الفصل الذى خصصه لـ»رسل» فى كتاب رياح المذهب فقال «أنه منذ بضع سنوات مضت، بدأ السيد «جورج مور» الذى كان أستاذًا للفلسفة، فى كلية «ترينتى» Trinity College بجامعة كيمبردج فى إنتاج انطباع عميق جدًا بين أرواح الشباب من خلال جدليته المستنيره والقوية his powerfull and luminous dialectic فقد كان «مور» مثل «سقراط» الذى استخدم كافة ألوان الفنون اللامعة التى يستخدمها المجادلون فى استثارة الحس المشترك commen sense والدوجماتيقية dogmatism التى عفى عليها الزمان، وهؤلاء الذين انصتوا له شعروا بعلو مكانته وسمو تفكيره سواءًا فى الصرامة rigour أو فى القوة force وذلك لإنقلابه على المثالية الألمانية[3].

ويضيف رسل إلى عباقرة الثورة الذين هاجموا الفلسفة المثالية فيلسوف آخر وهو «وليم جيمس»، حيث يقول رسل «وفى التسعينيات كان «وليم جيمس» هو الشخصية البارزة الوحيدة تقريبًا التى وقفت تناهض المثالية الألمانية، وفى عام 1900م بدأت ثورتى ضد المثالية

(1) Ibid: p. 12.

(2) ألفريد جولس آير: الفلسفة فى القرن العشرين، مرجع سابق، ص118.

(3) G. Santayana: Winds of Doctrine - Studies in Contemporary Opinion, J. M. Dent & Sons limited, London and Toronto,1926 p.110.

الألمانية، لا من وجهة نظر برجماتية، بل من وجهة نظر فنية صارمة»[1] (يقصد بها رسل نظرية المعرفة). وذلك على الرغم من أن «جورج مور» لم يكن يقصد من مقاله «تفنيد المثالية عام 1903م» Refutation of Idealism أن يكون تفنيدًا للنظرة المثالية إلى العالم بما هى كذلك، وإنما كان تفنيدًا للنظرية الذاتية فى المعرفة كما يمثلها باركلى، على حد تعبير رودلف متس[2]. أو كما قال «ويتز» M. Weitz كان التفنيد من قبل كل من «مور» و«رسل» موجهًا ضد مفهوم المطلق المثالى[3]. إلى أن جاء عام 1934م وكتب «والتر ستيس» Walter Terence Stace (1886 - 1967م) الفيلسوف الإنجليزى الأصل الأمريكى الجنسية، مقاله فى «تفنيد الواقعية» Refutation of Realism ردًا على مقالة «جورج مور» فى تفنيد المثالية[4]. وأثبت فيها «ستيس» استحالة أن نثبت بالأدلة المنطقية والتجريبية أبسط اعتقاد طبيعى نؤمن به؛ وأعنى به «الإيمان بوجود عالم خارجى مستقل عن إدراكنا له»[5].

لقد أكد رسل على أهمية صديقه «جورج مور» فى القيام بالثورة على المثالية، فعلى الرغم من اتفاقهم فى الثورة إلا أنهم قد اختلفوا فى غايات الثورة، حيث يقول رسل « عندما تمردت أنا و«مور» على كانط وهيجل على السواء، فقد شق «مور» طريق الثورة، أما أنا فقد تبنيت خطاه من بعده. ومع أننا كنا متفقين فى الثورة إلا أننى أعتقد أننا كنا نختلف بصدد ما كنا نهتم به أكبر الاهتمام فى فلسفتنا الجديدة، فقد كان «مور» فيما أعتقد معنيًا أكبر العناية بدحض المثالية، بينما كان جل اهتمامى موجهًا إلى دحض الواحدية(*). بيد أن كل من المذهبين (الواحدية

(1) برتراند رسل: فلسفة القرن العشرين، مصدر سابق، ص ص23،24.

(2) رودلف متس: الفلسفة الإنجليزية فى مائة عام، الجزء الثانى، ترجمة: فؤاد زكريا، مراجعة: زكى نجيب محمود، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2009م، ص152.

(3) Morris Weitz: Analysis and the Unity of Russell`s Philosophy, in: the Philosophy of Bertrand Russell, edited by, p. A. Schilpp, The Library of Living Philosopher, Tudor Publishing company, New York, 1951, p.59.

(4) محمد مدين: نظرية المعنى عند والتر ستيس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص14.

(5) المرجع السابق: ص13.

(*) الواحدية Monism: مذهب فلسفى يرد جميع الأشياء إلى مبدأ واحد، سواء كان ذلك من ناحية الجوهر أم من ناحية القوانين المنطقية أو الطبيعية أو الأدبية، ومذهب الواحدية مقابل لمذهب الإثنينية ومذهب التعدد. وتطلق الواحدية بالمعنى المنطقى والميتافيزيقى على مذهب (هيجل) الذى يرد كل شىء فى العالم إلى الفكرة أو المثال، فالمطلق عنده هو الجوهر الحقيقى، والطبيعة والفكر حالان من أحوال المطلق،=

والمثالية) كانـا مرتبطين ارتباطًا وثيقًا، وكان الرابط بينهما هـو المبدأ الخاص بالعلاقات، الذى استخلصه «برادلى» من فلسفة «هيجل»، واسميته أنا «مبدأ العلاقات الداخلية»، أما نظريتى، فقد اسميتها «بمبدأ العلاقات الخارجية»[1].

هناك أسـباب لثورة رسـل عـلى المثالية على حد تعبـير «فردريك كوبلسـتون» فى تاريخ الفلسـفة، حيث يرى «كوبلسـتون» أن رسـل هاجم المذهب المثالى بقوة عام 1898م لأسباب منها:

أولاً: أقنعته قراءته لمنطق هيجل أن ما قاله هذا الفيلسـوف عن موضوع الرياضيات لغو وليس له معنى.

ثانياً: عندما كان رسل يحاضر عن «ليبنتز» فى جامعة كيمبردج مكان «ماكتجارت» الذى كان خارج البلاد، وصل إلى نتيجة مفادها أن الحجج التى سـاقها برادلى ضد حقيقة العلاقات زائفة[2].

يتضح مما سـبق، أن اختلاف كل من «مور» و«رسـل» فى رفض المثالية كان بالاشـارة إلى اختلافهما فى معالجة مشـكلة «العلاقات الداخلية». فقد حاول رسل بيان أثر الاعتقاد بها على الرياضـة، فنحن لو سـلمنا بـأن العلاقات داخلية فسـوف يترتب على هذا التسـليم أن تكون المثالية، فيما يرى رسـل- على صواب فى زعمها «واحدية» الواقع والحقيقة، وسوف ينتهى هذا إلى أن تصبح قضايا الرياضة ليسـت صادقة. ولما كان رسـل يؤكد على صدق قضايا الرياضة، فقـد انتهى إلى خطـأ فكرة «العلاقات الداخلية» وبالتالى الميتافيزيقا التى تتأسـس عليها. فقد أخطأت المثالية فى نظره خطأ منطقيًا عندما عجزت عن إدراك إمكانية وجود صور من القضايا

= وهكذا تطلق الواحدية أيضًا على مذهب «برادلى» من جهة ما هو مشتمل على القول بوحدة العالم ووجوده المطلق، وبمعقولية الوجود الذاتية، وباتفاق الأشياء فى الباطن رغم اختلافها فى الظاهر، وهى بهذا المعنى مقابلة لمذهب التعدد الذى يقرر أن الإنفصال والكثرة الفردية، والصيرورة، وعدم امكان التنبؤ بالمستقبل، من مقومات الوجود.

انظر - جميل صليبا: المعجم الفلسفى، مرجع سابق، ص ص 548 - 549.

(1) برتراند رسل: فلسفتى كيف تطورت، مصدر سابق، ص61.

(2) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص 615.

ليســت قضايا حملية. أما المنطق الذى يقدمه هو فيشــمل على منطق مشــتق للعلاقات كمطنق الحمل والإسناد[1].

وهنا يبرر سانتيانا - رؤيته تجاه النزعة المثالية فى مقاله عن «رسل» فيشير إلى حقيقة مهمة قبل القيام بثورة فلســفية على النزعة المثالية، وهو هنا يدين كل من «مور» ورســل» فى قيامهما بالثورة على المثالية فيقول «ولكن عندما نقوم بدراســة المثالية الألمانية يجب أن نضع فى اعتبارنا أن المثاليــة مذهب فلســفى يرتبط بظــروف العصر والمجتمــع، وهى نزعة مليئــة بالإيحاءات afflatus ونافذة ومخترقة لأعماق القلب، كما أنها نزعة رومانسية بطريقة جوهرية، وليس كل ما فيها يعد «مناجاة المرء لنفسه» ولذلك عندما يتم أخذها من جانب أشخاص غير رومانسيين بمقتضى السلطة (أى ممثلين للأسس العقلانية للعلم والدين) تصبح النزعة المثالية بغيضة odious وواحدة من أسوأ آفات الجدل، والشعوذة التى يتعرض لها خيال عقول الشباب الذين يدرسونها «it becomes positively odious- one of the worst impostures and blights to which a youthful imagination could be subjected»[2].

هكذا جاءت هذه الثورة الفلسفية لتعيد الفكر الإنجليزى إلى مجراه الأصيل، وهو الاتجاه التجريبى، ولتقضى على الفلســفة المثالية التى كان قيامها على أرض انجليزية نشــازًا يدعو إلى القلق. ولقد فقدت المثالية قوتها وتأثيرها فى العشرينات من هذا القرن، إذ كشفت نفسها، ولم يكــن لديها مــا تقول. وكان موت قادتهــا «بوزانكيت» عام 1923م، و«بــرادلى» عام 1924م، و«ماكتجارت» عــام 1925م بمثابة الضربة التى فازت بها حركة التحليل على المثالية الهيجلية، فتحول مجرى التفكير الفلسفى عما كان عليه فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وتغيرت نوعية المفكرين الأكاديميين بالمثل[3].

وهنا يأتى التساؤل الأصيل ..

مــا التحليــل الذى اتخذه رســل بديلاً عن النزعــة المثالية الألمانية؟؟ وإلى حــد طبق المنهج التحليلى فى نظريته الحدسية؟؟

(1) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص152.

(2) G. Santayana: Winds of Doctrine, op. cit, p.111.

(3) محمد مهران رشوان: دراسات فى فلسفة اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،1998م، ص25.

ترجع بداية حركة التحليل إلى ظهور المقال الذى كتبه «جورج مور» تفنيد المثالية (1903) والذى ثار فيه ضد الهيجلية والمثالية الجديدة، وقدم فى نفس الوقت مثالاً عمليا لمنهج جديد فى معالجة المشاكل الفلسفية، ذلك المنهج الذى يعد من المصادر الرئيسية لحركة التحليل[1]. وقد تابع رسل زميله «مور» فى الثورة ضد الفلسفة الهيجلية مستخدمًا هذا المنهج التحليلى الجديد، يقول رسل «منذ تخليت عن فلسفتى كانط وهيجل، أخذت أبحث عن حلول للمشكلات الفلسفية مستعينًا بالتحليل، ولازلت مقتنعًا اقتناعًا راسخًا، بأن التقدم لا يتيسر إلا بالتحليل، على الرغم من بعض الاتجاهات المعارضة التى تذهب إلى رأى مضاد». فقد وجدت - على سبيل المثال- أننا بتحليل الفيزياء والإدراك الحسى يمكننا أن نجد حلاً نهائيًا لمشكلة العلاقة بين العقل والمادة. صحيح أن أحدًا لم يقبل ما يبدو لى أنه الحل، لكننى اعتقد - وأرجو أن أكون مصيبًا فيما اعتقد- أن هذا راجع فقط إلى أن أحدًا لم يفهم نظريتى»[2].

وينتهى رسل مما سبق إلى تعريف منهج التحليل الذى اتبعه فى فلسفته الواقعية الجديدة، فيقول «منهجى على الدوام هو التحليل، وهو أن أبدأ بشىء ما غامض، ولكنه محير، شىء يبدو قابلاً للشك ولكننى لا أستطيع أن أعبر عنه على أى نحو محدد. ومن ثم أمضى فى عملية تشبه عملية رؤيتنا لشىء بالعين المجردة لأول وهلة، ثم قيامنا بفحصه من خلال مجهر بعد ذلك. وإنى لأجد أنه بتركيز الإنتباه يبدوا لنا من التقسيمات والفروق ما لم يظهر لنا لأول وهلة تمامًا. وعلى الرغم من وجود كثيرون ينددون بالتحليل، إلا أننى أرى أن التحليل يقدم لنا معرفة جديدة دون أن يحطم أيًا من معارفنا التى حصلناها من قبل»[3].

كما أن كلمة التحليل analysis أيضًا تعنى الفحص الدقيق للمفاهيم والتصورات الفلسفية المهمة، واللغة التى تجسد تلك التصورات، مستخدمًا المناهج والأفكار المنبثقة عن المنطق الصورى[4].

ويستطرد رسل حديثه عن منهجه التحليلى فيقول «أن التحليل لا ينطبق على بناء الأشياء

(1) محمد مهران رشوان: فلسفة برتراند رسل، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، 1979م، ص23.
(2) برتراند رسل: فلسفتى كيف تطورت، مصدر سابق، ص8.
(3) المصدر السابق: ص161.
(4) A.C. Grayling: Russell, A very short introduction, op. cit, p.2.

الفيزيقية فحسب، ولكنه ينطبق على المدركات العقلية أيضاً. وكذلك فإن كلمة المعرفة- كما تستعمل عادة - كلمة مسرفة فى عدم تحددها. ذلك أنها تغطى عددًا من الأشياء المختلفة، وعددًا من مراحل التفكير بداية من اليقين إلى الإحتمال الضعيف أو الشك المطلق»[1].

وعلى الرغم من ذلك، لم يكن رسل هو أول من خلق create الفلسفة التحليلية دون مساعدة من غيره، فقد تأثر فى ذلك بالعديد من المناطقة والفلاسفة التحليليين فى عصره أمثال «بيانو» و«فريجه»، وكذلك تأثر بفلاسفة مدرسة كيمبردج أمثال «مور» و«وايتهد». كما تأثر رسل بديكارت وليبنتز وبعض فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادى، حيث قام رسل بدمج كل هذه التأثيرات فى فلسفته ليخرج منها بمدخل جديد لحل المشكلات الفلسفية، وعليها فقد لعب رسل دورًا مهما فى نجاح الثورة الفلسفية فى القرن العشرين[2].

ثالثًا: النظرية الحدسية(*)

هل يمكن القول بأن النظرية الحدسية في الأخلاق عند رسل قد نشأت من فراغ خلقي؟ أم أن نظريته الحدسية جاءت متأثرة بأفكار الفلاسفة الآخرين؟ و إلى أى حد جاءت حدسيته

(1) برتراند رسل: فلسفتى كيف تطورت، مصدر سابق، ص ص161،162.

(2) A.C. Grayling: Russell, A very short introduction, op. cit, p.2.

(*) - الحدس Intuition: هو الإدراك المباشر لموضوع التفكير، وله أثره فى العمليات الذهنية، فيلحظ فى الإدراك الحسى و يسمى حدسًا حسيًا intuition sensible، و يكون أساسًا للبرهنة والإستدلال و يسمى حدسًا عقليًا intuition rationelle وعن طريق الحدس ندرك حقائق التجربة، كما ندرك الحقائق العقلية، وبه نكشف عن أمور لا سبيل إلى الكشف عنها عن طريق سواه، وهو بهذا أشبه بالرؤية المباشرة أو الإلهام. أما النزعة الحدسية Intuitionism: فهى نظرية فى الخيرية Goodness تبدو قريبة الشبه بمذهب اللذة Hedonism فى فلسفة الأخلاق، وذلك من حيث كونها تبدأ من شيئاً ما مباشراً، ذلك الشيء ربما ندعوه بـ»الشعور» feeling ولكن تتميز النزعة الحدسية عن مذهب اللذة فى أن الأولى لديها الحس الخلقى moral feeling الذى من خلاله يمكن التفرقة والتمييز بين الشعور باللذة pleasure والألم pain وكذلك الشعور بصواب الشيء وخطأه، كشعورنا بأن هذا الشيء يعد سارًا أو قبيحًا. وللحدسية الأخلاقية صور ثلاث هى:

1- الحدسية الفردية individual intuition وفيها يحدس الفرد بشكل مباشر الموضوعات والأفعال، و يكون الحكم على الموضوع أو الفعل بأنه صائب أو خاطىء من خلال ادراك الفرد المباشر له دون توسط لأية عمليات عقلية أو استدلالية. =